طـوشـة فـلـيــح

ساق فليّح أغنامه إلى البرّية، وأخذ معه شبّابته التي تعوّد عليها منذ صغره، فهي التي تُغنيه عن الالتقاء بالكثيرين، الذين ليس لهم همٌ إلا الخوض في أعراض النّاس، أو تحليل الوضع الذي لا يتقنون أي تحليل فن منه، فصوت شبّابته شجيٌ، تدق بنعومةٍ على جدار القلب فتوقظه، وتطرب الأذان التي تسمع كلّ قسوة، ومصاحبة الحيوان أفضل من مصاحبة الكثير من البشر، ألا يكفي أنه لا يعرف الخيانة.!

وصل إلى المراعي الخضراء، ثم بدأ يعزف أجمل المقطوعات التي تريح القلب، فيبتهج كثيراً كلما رأى أغنامه تأكل من الحشائش بنهم، وكأنها تستمتع لهذا الصوت الجميل، فتأكل أكثر، مما يعني له أن حليباً أكثر سيحصل عليه، وأن الجبن سيكثر، وأن موسماً أو موسمين آخرين ربما تمكّنه من الزّواج من ابنة عمه صبحة، الذي أحبها منذ كانا طفلين صغيرين يسرحان مع أغنامهما، ولكنها اليوم أصبحت يافعة، فلا يصح أن تسوق أغنامها أمام النّاس، وفليح لم يعد يراها منذ وقت طويل، ويراها فقط من بعيد عندما يسقي أغنامه من عين ماء البلد، فقد كان

شرط عمه عندما تقدّم لخطبتها أن يحضر (نملية)جديدة، وقوس لحفة جديد، وثلاث لحفة صوف، وإسوارة مباريم، وبابور كاز من عند السنكري، وطبخة للعرس...

يشبب طويلاً، ثم يأخذ نفساً عميقاً، ويقول:

آآآآآآآآه يا صبحة، وينتى يلتم شملنا؟؟ الله يسامحك يا عمي، وينتى بدّي أوفّر حق المباريم؟؟...ثم يعود الى شبّابته من جديد، ويطلق لها العنان فتشدو لحنا حزيناً باكياً... يسرّح بخياله عرسه المرتب وتكاليفه ومعازيمه الذين سيقدّم لهم واجب الضيافة،على اعتبار انه(مش كل يوم الواحد بتجوز، وعلى قولة المثل: وإن إعرفت اتغيب غيب وإن اوقعت صير زلي طيب، ومن بعيد صاح به خليل:

-ولك يا فليح، غنماتك داشعت، رُحن على زرعاتي، إنت قاعد هون بتشبّب، وغنماتك داشعت علي؟!..يقطعك ويقطع غنماتك.

أسرع فليح الخطى، فوجد خليلا يغلي كالتّنور، و قد ضرب أحد أغنامه فكسر رجلها.

صاح به:

-ولك يا نعيل الحرسة، ليش كسرت رجل السخل؟ احنا ما بنسدق والغنمة تولد مشان تجبلها سخلة ولا سخل وبنسهر

عليهن وبنمصصهن البا مشان يقمن على حيلهن، وبنبيتهن في الدار يومين وبنلحقهن بالطرش ، تتيجي يا خليل تطبش رجل السّخل، بكفيش مظللهنش مطرح يرعين فيه من هالقبنيات إلي مليات هالجبال .....بكفيش إني بلملم فثمرتهن قرش قرش؛ مشان اتجوز، الله يكسر إيدك مثل ما كسرته... والله لأكسر راسك.

-انخم قبل ما آجي واهبشك.

-أقبض يا خوي، أنت يا مجردم بدك تهبشني!!!! مني بافسخك وبفعصك مثل الجندب قبل ما ترفع ايدك ....

تعالت الأصوات بينهما، وازدادت الشتائم، أقبل إليهما الرعاة، وفضوا الشّجار.... وفي المساء ذهبا عند المختار كي يتقاضيا.

-خير يا فليح، شو صار؟ قال المختار.

-خليل خمع السّخل حجر إلا هو كاسرلو رجله.

صاح خليل: انت واحد خرّاط، هي مكسورة من عند دار أهلها، مهو سخلك امعفن زي وجهك.

-أنا خراط ، يا ابن الهشتين.!! أنا امعفن؟ يا ابن المخمجين!!!

صاح المختار: بس عاد... متظب حالك انت واياه، وحدوا الله... هاتي يا مرة القهوة.

هدأت الأصوات، شربوا قهوتهم بعد أن عم صمت غريب، قال المختار:

-على كل حال اتفضل يا فليح، ومدّ يده الى (عِبة)، خذ ليرتين حق سخلك... خليل غِلط في حقك، وانت غلطط عليه، بس معلش بنظل أهل واولاد بلد، والله يسامح الغلطان، وربنا من فوق هو إلّي بسامح.

-لا والله ما بوخذهن...انا أوخذ عوظ؟! ..خلص، راحت في وجهك يا مختار وفي اوجوه الحاظرين... الله يسامحو خليل..

-والله إنك ابن إجاويد، تسلم يا انشمي، قوم يا خليل واستسمح فليح.

وقف خليل وقبّل رأس فليح، وقال: حقك فوق طبلية راسي، ومن اليوم بقولكم: السّخل إلي بدو ينذبح في عرس فليح على حسابي، نقوط العريس

رد فليح: اسمع يا مختار: انت وخليل والأجاويد الحاظرين بكره غداكم عندي على السخل المكسور.....

-قال المختار: والزمعات.... حصة مين؟؟

قهقه الجميع، وغادروا بعد أن شربوا الشاي بالميرميّة الجبلية.